ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:10، العدد: 01(2025) ص: 184 - 192

اللّغة العربية في سيّاق العولمة والهيمنة الثّقافية- بحث في طبيعة الأزمة وإجراءات الاستمرار-

Arabic Language in the Context of Globalization and Cultural Domination: A Study on the Nature of the Crisis and Measures for Continuity

د.حكيم دهيمي

– جامعة محمد بوضياف – المسيلة- الجزائر.

hakim.dehimi@univ-msila-dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/10/28
تاريخ القبول:
2025/04/07
تاريخ النشر:
2025/06/02

الكلمات المفتاحية:
- ✓ العولمة
- ✓ الهيمنة الثقافية
- ✓ الأزمة
- ✓ دينامية اللغة العربية
- ✓ إجراءات الاستمرار

يتناول هذا المقال جملة التّحديات التي تواجهها اللغة العربية في سياق العولمة الجارفة، ويعرض ملامح طبيعة الأزمة المحيطة بها، مقترحا مسالك تجاوزها والانخراط مجدّدا في مسيرة التطور وإنتاج المعرفة والإضافة إلى رصيد الحضارة الإنسانية، ما يضمن استمرارها وموقعها في مسار حركة التاريخ الإنسانية.

Article info

Received
28/10/2024
Accepted
07/04/2025
Published
02/06/2025

Keywords:
- ✓ *Globalization*
- ✓ *Cultural Hegemony*
- ✓ *Crisis*
- ✓ *Dynamics of the Arabic Language*
- ✓ *Continuity Measures.*

Abstract :

This article discuss challenges facing the Arabic language in the context of sweeping globalization, and presents the features of the nature of the the Arabic language crisis, proposing ways of the overcome and the re-engage in the process of development and knowledge production and adding to the balance of human civilization, which makes it a continuous language in the movement of human history.

1.مقدمة:

معلوم أنّ العولمة بوصفها إجراء و اتّجاها يهدف إلى بسط نموذج اقتصادي مخصوص، ونظام دّولي محدّد مدروس، لفرض هيمنة منطق المركزية على حساب الهامش، يستعين- أساسا- بفرض نموذج ثقافي يمهّد لها، ويحقّق لها الرواج، ويوطّئ لها النّفوس لاستيعاب منطلقاتها ومنظومتها القيمية الجديدة في حياة الأفراد والمجتمعات، فإنه وفي مثل هذا السّياق الجديد الّذي يقوم على الاستبدال وفرض منطق الهيمنة والغلبة، تواجه اللّغات الأصيلة الحاملة للتاريخ ولميراث الشعوب عبر آلاف السنين نوعا من القهر، وتقف أمام تحدّيات على درجة من التعقيد، وهو شأن ينطبق على اللّغة العربية، في بيئة منشئها الأول، قبل أن يكون خطرا يتهدّدها خارج حدودها الجغرافية ، ذلك لأنّ انسحابها من دائرة التّفاعل الحضاري الرّاهن، وتراجعها عن أدوارها التاريخية – بسبب جملة من الظروف- يجعلها أكثر عرضة للتقهقر والاندثار، أمام لغات حديثة، بمقياس التاريخ، تعدّ اليوم هي وعاء منجزات العولمة والتقدّم العلمي التكنولوجي.

معنى هذا أنّ العربية تتموقع اليوم في زاوية، مغلقة، لا تحسد عليها، مقارنة بما تشهده اللّغات الحيّة الأخرى من انتشار ووظيفية في ميدان نقل العلوم، والتّرجمة وإنتاج الفكر، وما تحقّقه هذه اللّغات من هيمنة ثقافية واحتلال للعقول.

وتأسيسا على هذه الغاية ، يجيب هذا المقال عن سؤال إشكالي مؤداه:

هل في حدود الإمكان أن تستدرك اللغة العربية مكانتها في سياق التحولات الكبيرة الناجمة عن العولمة الثقافية الجارفة؟

في ضوء هذا السؤال الإشكالي ، يسعى هذا البحث إلى الوقوف على طبيعة الأخطار التي تتهدّد العربية، في عقر دارها وفي سياق العولمة الغربية وهيمنة النّموذج الثقافي الرأسمالي المسيطر، مقترحة جملة من الإجراءات العلمية، التي يتوجّب التعلّق بها لتجنّب الكارثة والإفلاس المحتوم، الذي يتوعّد العربية في عصرنا الرّاهن، أكثر من أي وقت مضى، منطلقة من فرضية أساسية تتحدد في:

– رصيد اللغة العربية التاريخي والديني، وما تتمتّع به من خصائص تستقل بها عن لغات العالم الأخرى يؤهّلها لاسترجاع مكانتها بين لغات العالم ويمكّنها من الإسهام في الرصيد الحضاري للإنسانية من جديد.

ليحقق البحث الغاية السالفة الذكر فإنّه يتبنّى منهجا يقوم على تحليل مظاهر الأزمة المحيطة باللغة العربية ووصفها وعلى رصد إمكانات نهوضها في سياق العولمة عبر تحليل طبيعة المشكلة المتعلقة بها ، ولذلك فإن منهج هذه المساهمة البحثية تحليلي وصفي في الأساس.

2. دينامية اللّغة العربية عبر التاريخ:

من علامات صلابة اللّغة وقوّتها، وقدرتها على الاستمرار والتكيّف، مع كلّ الظروف التّاريخية والاجتماعية والعلمية، التي تجابهها أن تكون- هذه اللّغة- قادرة على الحركة والتّفاعل، والاستجابة لمتطلّبات الواقع الجديد الذي يطرأ، وتسهم في بلورته و إثرائه.

يقرّر الدكتور علي عبد الواحد وافي "أنّ من أهمّ ما تمتاز به العربية أنّها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السّامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللّسان السامي الأول، وأنّه تجمّع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء والصّفات والأفعال... ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم (وافي، 1997، صفحة 168)

علماء اللّغة يشتركون في موقفهم من" دينامية" اللّغة العربية عبر تاريخها الطويل، الذي يزيد عن ثمانية آلاف سنة قدما، ولعلّ الشاهد المنطقي والتاريخي في ذلك أنّها استطاعت أن تجد لنفسها مكانة الصدارة في كل تجربة خاضتها في سياق الفتوحات الإسلامية على امتداد المعمورة؛ لقد تراجعت أمام مرونتها، وغزارتها وقدرتها على الإحاطة والوصف كلّ من اليونانية والسريانية والقبطية في مصر، و كذلك كان الشأن بالنسبة للسريانية واليونانية في الشام، والفارسية السريانية في العراق، وفي إيران انتصرت على الفارسية .. وانتصرت

على البربرية واللاتينية في المغرب، وحلّت محلّ الاسبانية في الأندلس، ولم تصمد أمامها أيّ لغة نازعتها في أقطار المعمورة، و إن دلّ ذلك على شيئ، إنّما يدلّ على خصائص هذه اللّغة التي جعلت منها أعرق لغات العالم وأخصبها و أقدرها على الاستمرار.

إنّ الأدلّة على عراقة العربية وحيويتها، و أثرها في اللّغات الأعجمية التي احتكّت بها في مسيرتها الإنسانية عبر التاريخ عديدة، وهي في عمومها، بقدرما تثبت تميّز العربية في جملة خصائصها الدّلالية والاشتقاقية و الصّوتية تكشف – في الوقت ذاته- عن اعتراف الآخرين، من غير أبنائها، بفضل العربية في بناء حضارات الشعوب، وإغناء الفكر الإنساني، وإسهامها في نقل المعرفة الإنسانية.

Ernest Renan يقول المستشرق "إرنست رينان" في كتابه تاريخ اللّغات السامية (**Histoire générale des langues sémitique**)

"إن انتشار اللّغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها؛ فقد كانت هذه اللّغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسة غاية السّلاسة، غنيّة أيّ غنى،... وإنّ اللّغة العربية – ولا جدال – قد عمّت أجزاء كبرى من العالم" (زناتي، 2006، صفحة 55)

تتّفق معظم الدّراسات التي تبحث في تاريخ اللّغات أنّ العربية – في القرون الوسطى- كان لها فضل السّبق في نقل ثقافات وحضارات الشعوب إلى أوروبا عبر التّرجمة ؛ فقرأ الأوروبيون "أرسطو" عبر المؤلّفات العربية قبل أن يقرؤوه باليونانية، واستوعبوا الدّرس الفلسفي من خلال "ابن سنا" وابن رشد، قبل أن يستوعبوه من مصدر آخر ، فالعربيّة، بهذا المعنى، كانت وعاء للحضارة الإنسانية ومسلكا لتنمية الوعي الأوروبي، وقاعدة صلبة في تأسيس الحداثة الأوروبية.

يرى"جوستاف لوبون" (**Gustave le Bon**) صاحب كتاب حضارة العرب: (**La civilisation des Arabes**):"كلّما تعمّق المرء في دراسة العربية تجلّت له أمور جديدة، واتّسعت أمامه الآفاق وثبت له أنّ القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلاّ بواسطة العرب، وأنّ العرب هم الذين مدّنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق" (لوبون، 1956، صفحة 32)

لا تبدو هذه الحقيقة مثارا للعجب، إذا ما فهمنا حقيقة حفظ الله تعالى لهذه اللغة، التي وعت خطاب السماء، ثم أنّ القرآن الكريم، كلام الله، الذي تعهّد الخالق(سبحانه وتعالى) بحفظه يحيلنا إلى سرّ استمرار هذه العربية، رغم المحن والظروف التي ابتليت بها، لا سيّما في عصر التقنية، وعولمة الثقافة والفكر والوسيلة.

الأمر- في تقديرنا- ليس مثارا للاستغراب، والتعجّب من قدرة العربية على الحركة، والصمود في عصرنا الرّاهن القائم-أساسا- على اختزال ميراث الشّعوب، في مقابل فرض الثقافة الرأسمالية الغربية، فالذي نزّل القرآن غير ذي عوج، لا يمكن – وبشكل مطلق-أن يترك الاعوجاج يسري في جسد هذه العربية التي هي وعاء القران الكريم وحاملة معانيه، خلافا للاعتقاد السائد لدى بعض أعداء العربية من بني جلدتها، ومن خصومها التاريخيين الذي يقوم(أيّ الاعتقاد) على ربط التقهقر، والتراجع عن الأدوار التاريخية- التي كانت تقوم بها العربية في أزهى عصورها- بالدّين، على أساس من التماثل -الذي لا يقوم على أدنى موضوعية- حينما جعلوا من حال العربية حال لغة الكنسية في عصر القرون الوسطى، بجامع هيمنة الدين والعقيدة على كل منهما، ما منعها أن تكون لغة خطاب علمي وتطوّر، إلاّ أنّ بعضا من أصحاب الفكر المتّقد، والرؤية الموضوعية الفاحصة للظواهر، يقرّ بتميّز العربية عن مثيلاتها من لغات الأقطار والأمم، ومن هذه المواقف نذكر ما أكّده الأمريكي (وليم ورل) حين قال: "إنّ اللّغة العربية من اللّين، والمرونة، ما يمكّنها من التكيّف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أيّة لغة أخرى، من اللّغات التي احتكّت بها. وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي (الجندي، 2000، صفحة 28)

لن ينتبه إلى هذه الحقيقة ويحيط بأبعادها، إلاّ من تشبّع ببلاغة الخطاب القرآني، وتعمقّ دلالاته وتتبّع دقّة أساليبه، وقد ربط ابن قتيبة معرفة فضل القرآن بجملة من الشروط إذ يقول: "وإنّما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها

في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها، دون جميع اللغات. فإنّه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيت من العارضة، والبيان، واتّساع المجال ما أوتيه العرب خصيصة من الله، لما أرهصه في الرسول صلى الله عليه وسلم، وأراده من إقامة الدّليل على نبوّته بالكتاب.. (قتيبة:، 1973، صفحة 12)."

الحديث عن دينامية العربية ومسايرتها للتطوّر عبر العصور المختلفة، ميزة تستقلّ بها العربية عن أيّة لغة أخرى، ولعلّ التاريخ يقدّم لنا هذه الحقيقة بعيدا عن أيّ مبالغة، فيلزم ويكفي شرطا أن نتصفّح ما لقيته العربية من رواج في تاريخ الإنسانية، حتّى تتعزّز الثّقة مرّة أخرى بقدرتها على التواصل وصياغة العالم من جديد في كنف المتغيرات الرّاهنة، وفي سياق ما تستدعيه حاجة الإنسان العربي إلى التحديث والتقدّم والازدهار.

3.العربية في سيّاق العولمة:

العولمة باعتبارها" تلك العملية التي تتمركز بها القوة الفاعلة في تشكيلات اجتماعية كونية، ويتمّ تفعيلها من خلال شبكات عالمية، وليس من خلال دوّل تقع داخل أقاليم في العالم" (أحمد، 2016، صفحة 4) إنّما تهدف أساسا إلى تذليل الصّعوبات لتحقيق الأغراض بفلسفة غربية، و "تكنيك" غربي محض، يؤسّس "لميكانيزم" جديد في الاستهلاك، وفرض نمط ثقافيّ غربي، يستلزم التّقليد والاتّباع ، كلّ ذلك بأداة اللّغة الإنجليزية أو أيّ لغة حيّة أخرى، ترتبط بقوّة الإنتاج وبالقوّة المهيمنة اقتصاديا وثقافيا وسياسيا، ومعنى هذا أنّ العولمة في الأول والأخير أسلوب لتحقيق المقاصد والغايات على الطريقة الغربية ، ومن هنا أضحى ارتباط اللّغة بالغرض والمقصد، مصدرا لعلاقة تلازمية مع مستجدّات العولمة، وصدق ابن جنّي حينما جعل من اللغة" أصواتا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (جني، الخصائص، 1969، صفحة 33).

في مثل هذا السياق، من ارتباط اللّغة بغرض الإنسان، في المأكل، والمشرب، والملبس، والعمل وما إلى ذلك من أشكال الحراك الاجتماعي، والثّقافي، والسياسي، تراجع تداول اللغة العربية إلى الخلف، وبذلك تخلّت عن الأدوار الأساسية، التي كانت تؤديها في المجتمعات العربية المختلفة، الحاملة لهمومها وانشغالاتها، وذلك بدافع الانتشار السريع للّغات الأجنبية، المبشّرة بهذا الجديد في السّلع، والخدمات والمعلومات، في سيّاق النّمط المعيشي الغربي "المعولم"، الذي تتوسّط فيه اللغة الإنجليزية بين العرض المقترح والمتلقّي العربي، بشكل إجباري، ومجرّد أن تبرز أيّ محاولة تروم الاستمساك باللّغة العربية لاستيعاب ما يجري، تضيع فرص الاستفادة والانتفاع، خاصّة و أنّ وتيرة الزّمن صارت أكثر سرعة من ذي قبل، من حيث الإحساس به قيمة، ومن حيث توظيفه أداة لحركة المعيش.

اللّغة الأنجليزية، حينما تتصدّر هذه الوظيفة الجديدة في تمرير الرّسالة، والتوسّط بين الخدمات المقترحة، ومن يطلبها، إنّما تفتك من العربية مكانتها في بيئة منشئها، وتحوّلها إلى تقاعد مسبق بعيدا عماّ يتوجّب أن تقدمه من أدوار حيوية، بل تفرض عليها نوعا من العمى، والجهل بمقتضيات الرّاهن، و حركة الحياة المتغيّرة، والسريعة لأنّه " لا سبيل إلى معرفة الأشياء إلا بتوسّط اللغة" (الاندلسي، 1959، صفحة 155) فبمجرد أن تتخلّى اللّغة عن دور الوساطة، تدخل قفص عزلتها عن العالم، وعن معترك الحياة الذي به تقوى، وبه تتطوّر وتتجدّد.

من هنا تغدو العولمة بنماذجها اللغوية المعتمدة في تمرير المشاريع المعولمة خطرا حقيقيا، يحدّ من مجال العربية، ويضعف طاقتها في الاستخدام والتّداول، وهو شكل من أشكال التأثير العميقة على واقع العربية ومستقبلها.

4. أزمة العربية في زمن العولمة:

من أشكال أزمة العربية في عصر العولمة، الذي نعيش تبعاته كلّ لحظة، هو ظاهرة التّشويه والمسخ الذي تتعرّض له العربية على يد أبنائها، دون وعي منهم في أغلب الحالات، نتيجة حالة الانبهار التي تعتريهم إزاء ما يفد عليهم من قشور الثقافة الغربية، في كلّ حين وعلى مستوى أصعدة مختلفة.

من ملامح هذا الانبهار، المزج بين العربية والانجليزية أو بين العربية والفرنسية أثناء الاستخدام، تنفيسا عن بعض مركّبات النّقص والإحساس بالدّونية إزاء الآخر، المتفوّق والمهيمن، كما لو أنّ قاعدة المغلوب مولع باتّباع الغالب – كما أقرّ ذلك ابن خلدون– تكاد تكون صالحة ومنطبقة على ما يعيشه المواطن العربي من تخلّف، ومن ولع بثقافة الآخر، والتشبه به في أمور حياته.

إنّ مثل هذا المزج بين تعابير العربية وألفاظها، وتراكيبها مع تعابير وألفاظ وتراكيب لغة أخرى مستعارة، لا يخدم العربية في أيّ ناحية من النّواحي؛ لا على مستوى ذخيرتها اللّغوية ولا على مستوى الدلالة، ولا على مستوى سريانها وتداولها بين النّاس، بقدر ما يعد ذلك شكلا من أشكال الهجنة المقيتة التي تعكّر صفاء العربية، وتثقلها بعبء العجمة، خاصة بالكيفية التي يمارس بها المواطن العربي المزاوجة بين الإنجليزية والعربية في مواقع التواصل الاجتماعي، ولعمري لهو اخطر المقامات التي تفقد فيها العربية ألقها، وتخرج فيه عن طابعا الأصيل في اللّفظ والتّركيب والمعنى، فهي إذن هجنة لغوية من أخطر ما تواجهه العربية في عصرنا الرّاهن، من قبل أبنائها الذين لا يشعرون في أيّ واد يهيمون ولا بما تلوكه ألسنتهم، كل ذلك بنوع من التّباهي والفخار ، وهم يحسبون أنّهم يصنعون خيرا بأنفسهم وبلغتهم .

يفعل العربّي ذلك، كما لو أنّ لغته ذات عجز وقصور في تأدية المعنى، وتسمية الأشياء بمسمّياتها.. يفعل ذلك، وهو في جهل مطلق بقوله تعالى الذي تعهّد بحفظ الذكر الحكيم الذي حملته العربية أمانة وتبليغا، إذ يقول عزّ من قائل: " إنّا نزلنا الذّكر و إنا له لحافظون" (الحجر، 9)

واقع مرير يكاد يستقلّ به العربي عن غيره من بني البشر، لأنّه لم ينته إلى علمنا أنّ فرنسيا، أو انجليزيا، أو ألمانيا يمارس هذه الهجنة، ويفعل بلغته ما يفعله العرب بلغتهم في زمن القرن الواحد والعشرين أو في أيّ عهد مضى.

واقع اللّغة العربية –بحق– مثار قلق على آفاقها في عصر العولمة، والتقانة العلمية، وتطوّر وسائل الاتصال، والتواصل الاجتماعي، حيث لا يزال العربي في طور المستهلك لكلّ وافد غربي من الثقافة وألوان التفكير بشكل سلبي، وفي سياق يغيب فيه النّقد الموضوعي لكلّ ما يفد عليه من ألوان التفكير و"ميكانيزمات" إعادة صياغة الأشياء.

لما كانت العولمة في بعدها اللّغوي، تعني سرعة انتشار اللّغة الأقوى استخداما و الأكثر سيولة في العالم، والأكثر امتلاكا لمقوّمات القوّة والهيمنة والسيطرة على اللّغات الأخرى، صار لزاما على المثقف العربي، أن يجدّد عهده بلغته، لا من باب "الديماغوجية" المملّة، و إنّما من باب الاستمساك بالعربية، تسمية للأشياء، واستخداما في التواصل، على الأقل ضمن حدود بيئتها الجغرافية، ثم جعل الناشئة ترضع من ثديها في سنّ مبكرة، علّ الأجيال القادمة تكتسب مناعة أوّلية حين تجابه عواصف التغريب ومحن "الأمركة" في عهود لاحقة، وكما يقول المثل الشائع شيء خير من لا شيء، و أن تبدأ متأخّرا خير من أن لا تبدأ.

المظهر الآخر في طبيعة أزمة العربية في عصرنا الرّاهن، إنّها لم تعد لغة حاملة للفكر والعلم، على أن لا يفهم هذا الكلام بمعنى ازدراء العربية والتقليل من قدرتها في استيعاب المعارف الإنسانية، إنّما المقصود: أنّ المجتمعات العربية لم تعد تنتج فكرا، ولا علما في زمن الاستسلام الكامل للثقافة الغربية الوافدة، واستهلاك منجزات التطوّر العلمي الغربي، في منأى عن الإحساس بالغياب الكامل عن ساحة إنتاج المعرفة، و بالمهانة التي تتعرض لها لغة القرآن الكريم ولغة ميراث آلاف السنين من الفكر والأدب، وبعبارة أخرى أكثر دقّة: إنّ تراجع العقل العربي وانطفاء شعلة البحث والاجتهاد هو أكبر العوامل الأساسية التي أدّت إلى هذا الإعراض عن تعلّم العربية، والتّداول بها في عصر استقلت فيه الإنجليزية والألمانية بحمل العلم والمعرفة والثقافة إلى الإنسانية.

يعيش العربي هذه الحالة من السلبية و القطيعة مع لغته و فكره، في حين أنّ أوّل آية من الذّكر الحكيم نزلت على الرسول (صلى الله علي وسلم) تدعو إلى القراءة باسم الله، ولا يخفى علينا ما تؤديه هذه الدّعوة السماوية من معاني طلب العلم، والبحث في أقطار السماوات والأرض.ثم ما تستوجبه من سعي في البحث وطلب العلم بلسان عربي مبين.

إنّ التاريخ يقدّم لنا أكثر من دليل عن طبيعة العلاقة الحيّة بين قوّة اللّغة وانتشارها ومدى قدرة أصحابها على البحث والتفكير؛ ففي عصر احتكار الكنيسة للعقل لصالح دعاواها الظلامية لم نجد إشعاعا يذكر للّغة القرون الوسطى، لأنّ الفكر كان معطّلا بمنطق خرافات الفكر الكنسي، المنبثق عن العقيدة الكاثولوكية الفاسدة، وفي مقابل هذا المدار، نجد العربية –في أوجّ ازدهار الحضارة الإسلامية– لغة يبذل في سبيلها النّفس والنّفيس لتعلّمها والتداول بها، لأنها فرضت مكانتها على صعيد الحركة التجارية، والعلم، والبحث، والاستكشاف، فالمسألة –إذن– برمّتها مرتبطة بطبيعة الإنسان الذي يستخدم هذه اللغة؛ فبقدر ما يكون أكثر فاعلية في إعمار الأرض وإنتاج المعرفة بقدر ما تكون لغته متداولة وذات قيمة تذكر.

حينما كانت الأندلس، والإسكندرية، والقيروان، والأزهر..وغيرها منارات للعلم، والمعرفة والإشعاع في تاريخ الإنسانية راجت العربية و عزّ طلبها ، وفي عصر الحداثة الغربية أخذت بعض اللّغات المنبثقة عن اللغة اللاتينية (الفرنسية، والأنجليزية، والإسبانية، والإيطالية) الريّادة لأنّها كانت تبشّر بمشاريع علمية وفكرية وفلسفية؛ فبقدر ما تأخذ أيّ لغة من اللّغات على عاتقها مسؤولية إعادة صياغة أسئلة الإنسان، و وتقوم بمتطلّباته في ضوء اشتغال العقل، بقدر ما تضمن هذه اللغات لنفسها الاستمرارية والرّواج.

5. إجراءات الاستمرار:

قيل قديما إذا عرف السبب بطل العجب، والعربية بوصفها لغة عريقة حباها الله بمواصفات خاصة مقارنة بلغات الأمم الأخرى، إذ يقول تعالى:"إنّا جعلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون" (الزخرف، 3)فإنها تستطيع أن تستعيد عافيتها، وطاقتها الحيوية، في إنتاج المعرفة، ونقلها إلى الإنسانية، بل إنّها تتمتّع بخصائص ذاتية –كما يقرّ بذلك كثير من علماء اللغة، والمهتمين بشأن تاريخ اللّغات– تجعل منها لغة كونية بامتياز، لكنّ ذلك كلّه مرهون بصحوة أصحابها، ووعيهم بطبيعة الدور التاريخي، الذي يتعيّن أن يقوموا به في هذا العصر؛ عصر التّنافس على انتاج المعرفة، وعصر سيادة النموذج الغربي ثقافة، وسياسة، واقتصادا، وعلما، ومعرفة.

يبدو أنّ الأزمات التي جابهتها الأوطان العربية، وما صاحبها من امتداد للاستعمار إلى كثير من أقطارها، وما نتج عن ذلك من تبعات عميقة، على مستوى التركيبة النفسية للمجتمعات، وضياع للثروات، بل ما تعيشه هذه الأوطان من تخلّف، وتبعية يستوجب في وقتنا الرّاهن، الاستفادة من تجارب دولية، هي بمثابة الأمثلة، التي يتوجب الاحتذاء بها للخروج من تابوت الهزيمة (ماليزيا، اليابان، سنغفورة، اندونيسا)، ولاشك أن هذه الأمثلة لكفيلة أن تكون محفزا لتجاوز الأزمة، واستدراك ما ضاع من فرص.

1.5.إجراء الترجمة:

اللغة العربية اليوم، مطالبة أكثر من أيّ وقت مضى، بالانفتاح على المنجز الثقافي الغربي والمنجز العلمي، والمعرفي الإنساني، وأن تمارس نقل العلوم، والمعارف إلى أبنائها بوسيلة التّرجمة،وأن تسعى في الوقت ذاته إلى تصويب المفاهيم، والأفكار المسبقة، المشكّلة عن الإنسان العربي، وعن نمط تفكيره وموقفه من العالم، لأنّه ليس ثمّة من وسيلة تقرّب بين الحضارات، وتفتّح وعي الشعوب على بعضها البعض أكثر فاعلية، في التأثير، كما تؤديه وسيلة التّرجمة، والعرب في مثل هذا المسلك ليست بدعا، فقد سبقتها أوروبا عندما نقلت عنها تاريخ وعلوم الحضارات القديمة، فكان المنقول دعامة أساسية لنهضتها وحداثتها، ولا يزال فكر ابن سينا، و ابن رشد، وابن خلدون، يدرّس في أرقى جامعاتها ومراكز بحوثها الأكاديمية إلى يومنا هذا.

التّرجمة من العربية إلى لغات حيّة أخرى في العالم، يمكنّ من إبراز الموروث الثقافي العربي الأصيل، ويقف في وجه رياح التغريب، التي تسعى إلى استئصال شجرة المخزون الثقافي، والتاريخي العربي من جذوره، والأهمّ من ذلك كلّه، أنّها يجب أن تعمل على نقل بعض النّماذج المشرقة، التي تمثّل أساسيات البناء الثقافي العربي إلى الآخر، فتصوب له قناعاته المسبقة، ومفاهيمه الخاطئة عن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وعن الإسلام، فلا طالما ترجمت في العهود الغابرة بعض المصنّفات العربية إلى لغات كونية، فجلبت الاحترام، لرموز الحضارة العربية الإسلامية، في مسلك تثاقف إنساني متكافئ.

إنّ مثل هذا المسلك، من شأنه أن يعزز ثقة الإنسان العربي المعاصر بلغته، و يحيي موروثه الثقافي، فيغدو مرجعية، ومنطلقا أساسيا في قراءة التطوّر الحاصل من حوله، وممارسة نقده له، قبل أن يفتح ذراعيه لتبنّي الجديد، الوافد، محتضنا أيّاه ضمن مكتسباته الثقافية، موظّفا له في تطوير ملكاته، وتحقيق متطلبات راهنه، باعتباره منجزا إنسانيا، وهو أمر لا يشكّل شرخا في الهوية ولا الانفصام في الشخصيته لأنّ العولمة " لا تهدّد الهوية أو الهويّات الثقافية بالفناء أو التّذويب بل تعيد تشكيلها أو تطويرها للتكيف مع العصر (الجيلالي، 2001، صفحة 128)" لا كما هو راسخ في مخيال التيّار المعارض لها، حين يعتبرها أنّها "ترمي إلى الاستلاب الثّقافي، وتدمير الهويّة الوطنية، وأنبياء العولمة وفلاسفتها لا يكنّون سوى الاحتقار للثقافات الأخرى غير العربية، وهم يصفونها بأنّها مناقضة للتقدّم والعلم" (زكريا، 2000، صفحة 4).

إنّ الموضوعية تقتضي أن نتجنّب المواقف الحدّية من العولمة، فلا يجوز أن ننغمس انغماسا مطلقا في شعاراتها البرّاقة، فنعتبرها هي الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فنكون معها كما لو أنّها هي كلّ شيئ، وليس مقبولا أن نقف منها موقفا عدائيا لا رجعة فيه، فنجعلها خطرا محدقا، كما لو أنّها الخطر الوحيد الذي يتهدّد حاضرنا ومستقبلنا، فنكفر بكلّ نتائجها ومنجزاتها، والحال أنّنا نتمتّع بأدواتها المذهلة في تحقيق التقارب، وتيسير كيفيات الاتّصال، واختصار الزمن بكيفية عجيبة، ما كنّا لندرك نعمته لو لا هذا التحوّل السريع والعجيب في استخدام وسائل الاتّصال والتّقانة التكنولوجية، التي وفّرت الجهد واختصرت العالم إلى قرية صغيرة، يتاقسم فيها كل مجتمع بشري -على اختلاف انتمائه العرقي، والقومي، والقطري، و الجغرافي- مع غيره تصوّره ورؤيته لما يشكّل قاسما مشتركا بينهما في هذا العالم.

مثل هذا التّعاطي الرّصين مع حقيقة العولمة، يمكن أن يحافظ على الخصوصية الثقافية، ويسهم في تطوّر اللّغات المحليّة، إذ تستثمر معطيات العولمة لصالح هذه الثقافات القطرية، وهذه اللّغات المحلية ذاتها، فتحقّق لنفسها نقلة نوعية، عبر وسائل الاتّصال والتبادل المتاحة، من الهامش إلى المركز، و إذ حينها فقط يتجسّد التبادل، والاحترام المتبادل بين الشعوب، على اختلافها في المرجع والمعتقد، ويمكن للتّرجمة كما أسلفنا أن تؤدّي دورها، في مثل هذا السيّاق، في تحقيق التّقارب والحوار بين الثقافات، ووعيا بهذا الدور العظيم للترجمة في تذليل العقبات أمام استلهام ثقافة الآخر، والانفتاح على حضارات الشعوب المختلفة، فإنّ الكاتب الإيطالي "أمبرطو إيكو" يقول أنّ" لغة أوروبا هي الترجمة"، وهي إشارة صريحة إلى أن الإنسان الأوروبي ليس مطالبا أن يكون ملمّا بكلّ اللغات الأوروبية من فرنسية، وإسبانية، و إيطالية، و ألمانية، وإنجليزية، وغيرها من اللّغات، التي تشكّل فسيفساء اللسان الأوروبي، حتى يظلّ في اتصال مع الواقع الثقافي، وعلى ارتباط بمنظومة القيم، التي تحكم المجتمع الأوروبي، و إنّما تستطيع الترجمة أن تعمّق أواصر التقارب والتفاهم بين هذه المجتمعات كلّها.

2.5. إجراء إعادة فقه اللغة العربية:

تعود ظاهرة الانبهار بالمنجز الثقافي الغربي الوافد والإعجاب باللّغات الأجنبية، من فرنسية وأنجليزية، وغيرها من اللّغات، الحاملة للثقافة الوافدة على بيئة الإنسان العربي إلى جهله بلغته وعدم التضلّع فيها، وإن شئنا قلنا إلى عدم فقهه لقدرتها البلاغية، والأدائية، ولطبيعة تراكيبها ومرونة استخداماتها في شتّى المجالات، لذلك فهو يتشبثّ بلغة الحضارة الغربية، ضنّا منه أنّها دليل الكمال والتفوّق، خاصة وأنّها حاملة لمنظومة القيّم الإنسانية، وعنوانا لمنجزات التمدّن، والتّقانة التكنولوجية، ولو أنّ هذا الإنسان العربي ذاته، تمكّن من لغته العربية، إحاطة بقواعدها، وفقها لطبيعة العلاقات التي تشتغل بموجبها، وانفتح على أسرار الجمال فيها، لما تجرّأ يوما على مباهاته بمعرفته للغة الإنجليزية أو الفرنسية، ولما تشدّق بمفرداتها في المحافل العلمية والرّسمية، لأنّ التمكّن من ناصية العربية، والاستغراق في دلالاتها وأساليبها، والإطلاع على شساعة اشتقاقاتها، و ملاءمتها لكل حال من شأنه أن يعزّز الثّقة بها، ويذكي روح التعلّق بسحرها وبيانها.

ومعنى هذا، أنّ بذل الجهود لتعزيز معرفة الناشئة باللّغة العربية، والتبحّر في مسالكها، ودروبها يمنح الإطمئنان في نفوس متعلّميها، ويعزّز ثقتهم في قدرتها على تجاوز المحن، وكسر الحصار المضروب حول أماكن تواجدها .

3.5.إجراء الدعاية والإشهار:

من أهمّ المسالك الأساسية، التي تحقّق نفعا لأيّ لغة من اللّغات، وتعزّز رواجها، وسريانها بين النّاس وتوطّد صلتها بالمجتمع، الذي تعبرّ عن حاجات أفراده وتبسط همومه وانشغالاته، مسلك الدعاية والإشهار،" فثقافة الإعلان التي تروّج لثقافة الاستهلاك قد صدرت بشكل أو بآخر من حالة الانبهار الشّديد بالمجتمعات المنتجة وثقافتها، وغدت السلعة ترمز للمنتج نفسه، إذ صار الناس يقبلون عليها لأنّها تعني أمورا ليست ممّا يتعلّق بغرض استعمالها بشكل مباشر، وتولّد نتيجة لذلك شكل من أشكال التبرّم بالذات وتغذية نزعة التّماهي مع المتسلّط، وتقمّص سلوكه والاستغراق في عالمه، من خلال المزيج من الصوّر، والعبارات التي تتوجّه إلى ايقاض شهوة المستهلك.." (الضبيب، اللّغة العربية وعصر العولمة، 1421، صفحة 63)

اللغة العربية في زمن العولمة، في حاجة ماسة إلى أن تسخّر لها وسائل الدعاية، و الإشهار المحلية والكونية، حتى تتقّحم الفضاء الإعلامي، وتظفر بمكانتها، لأنّ ذلك من شأنه أن يبقيها جارية على الألسن، متزامنة مع الأحداث وسرعة الإنتاج المعلوم، بل إنّ ارتباطها بالدّعاية والإشهار، يجعل منها مادة استهلاكية يؤتى أكلها كلّ حين، وكلّما وظّفت توظيفا مدروسا، متخصّصا في تصدير العلامات التّجارية، وتسمية المنتوجات الاستهلاكية، كلما تعزّز لسان المواطن العربي برصيد لغوي أصيل، بطريقة تلقائية، لا يشوبها تكلّف، أو إرغام على الأخذ والتحصيل.

6.الخاتمة:

اللّغة العربية لسان أكثر من مليار مسلم في المعمورة، يستخدمونها لتأدية شعائرهم الدينية، وفي التواصل فيما بينهم، وهي وعاء منظومة قيميّة، تحكم سلوكاتهم في الحياة، لذلك فهي تتمتّع أصلا بمقوّمات البقاء والاستمرار، قد يخبو ألقها ويتراجع أداؤها لوظائفها الريادية في بعض المراحل من مسار تطوّرها، نتيجة للظروف المستجدة في كل عصر، لكن قدر العربية أن تظلّ لغة الكتاب المنزّل الذي تعهدّ الله بحفظه، ومعنى ذلك أنّ وعي العربي بعمق و أصالة لغته، والالتفاف حولها، استخداما، وتوظيفا في أبسط مقتضيات واقعه اليومي، يكفل لها البقاء ويضمن لها الاستمرار، فتتوارثها الأجيال، على مرّ الأزمان.

إنّ اقتحام ميادين العلم والمعرفة، وانفتاح العقل العربي على أساليب جديدة، في التفكير، وإنتاج المعرفة، التي تسهم في الإجابة على أسئلة الإنسان المعاصر، هو المسلك الحقيقي لتعزيز مكانة العربية، فلا تقوى العربية، ولا تتعزّز مكانتها إلاّ بما قويت به وتعزّزت مكانتها به أيّام عزّ الحضارة العربية الإسلامية.

استثمار مفرزات العولمة ومخرجاتها لترقية تداول العربية، والتّعريف بالثّقافة العربية، على صعيد محافل الثقافات المحلية والكونية في العالم، عبر بوابات الرقمنة، ووسائل الاّتصال الحديثة، خير و أجلب للفائدة من توجّس المثقّف العربي خيفة، من شبح العولمة، وأساليبها العجيبة في انتقال المعلومة وتجاوز الحواجز الجغرافية .

قائمة المصادر و المراجع :

.أولا : القران الكريم .

ثانيا : الكتب:

- ابن جني. (د.ت) .الخصائص (الجزء الأول). القاهرة: دار الكتاب المصرية.
- ابن حزم الأندلسي .*(1959)* .التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (تحقيق إحسان عباس). بيروت، لبنان.
- ابن قتيبة .*(1973)* .تأويل مشكل القرآن (تحقيق السيد أحمد صقر، ط. 2). القاهرة: دار التراث.
- الجندي، أنور. (د.ت) .اللّغة العربية بين حماتها وخصومها .القاهرة: مطبعة الرسالة.
- عبد الواحد وافي، علي .*(1997)* .فقه اللغة .القاهرة: دار نهضة مصر.
- لوبون، جوستاف .*(1956)* .حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- زناتي، أنور محمود .*(2006)* .زيارة جديدة للاستشراق .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ثالثا : المقالات:

- أحمد، سمير نعيم. (2016، يوليو). "أثر العولمة على مدينة عالمية من الجنوب (القاهرة) من منظور حقوق الإنسان" (ترجمة فرغلي هارون) .منشورات المدرسة النقدية في علم الاجتماع المصري، العدد 2.
- الضبيب، أحمد بن محمد. (2000، 7 رمضان 1421هـ). "اللّغة العربية وعصر العولمة ." مجلة الجزيرة، العدد 10293.
- الجيلالي، أحلام. (2001). "أثر العولمة في اللسان الرسمي (العربية نموذجا) ." مجلة اللغة العربية، العدد 5، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر.

رابعا : المداخلات:

- زكريا، بشير غمام. (2000). "في مواجهة العولمة ." مؤتمر حول العولمة والهوية الثقافية .عمّان، الأردن.